جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

الدمار البئي من منظور اسلامي

د . محمد عبداللطيف الجبر

الرياض

1419 هـ - 1998 م

الدمار البيئي من منظور إسلامي

د. محمد بن عبداللطيف الجبر

قسم الجغرافيا ـ كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدمار البيئي من منظور إسلامي

اللّه جل وعلا كرم الإنسان فجعله خليفة له في الأرض، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1].

ويقتضي القيام بهذه الخلافة أن يعمر الإنسان هذه الأرض على وفق منهج اللّه وشرعه، وتلك العمارة تقوم دعمائها على الأسس التالية:

أولاً: عمارتها بعبادة اللّه تبارك وتعالى والعمل الصالح، كما قال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام وهو يخاطب قومه: ﴿ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[2].

ثانياً: عمارتها باستغلال مواردها وما أودعه الله فيها من كنوز وتوظيف تلك الموارد فيما يصلح العباد والبلاد، وليس أدل على استغلال موارد الأرض والاستفادة من كنوزها من قوله صلى اللّه عليه وسلم: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»[3].

ثالثاً: عمارتها بإعطاء كل ذي حق حقه إنطلاقاً من شمولية الإسلام لجميع ضواحي الحياة فإن هذا الدين الحنيف لم يهمل شأناً من شؤون الحياة دون أن يوجه الإنسان إلى الطريقة المثلى في التعامل معه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[4].

وبناء على ذلك فإن لكل شيء حرمة في الإسلام لابد من مراعاتها على النحو التالي:

---

(١) سورة البقرة، آية ٣٠

(٢) سورة هود، آية: ٦١

(٣) متفق عليه.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٨

أولاً : **مراعاة حرمة الإنسان**: لأنه أعظم مخلوق على الإطلاق، ولذلك فقد كرمه اللّه وفضله على سائر المخلوقات فقال سبحانه ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1].

ومن مراعاة حرمته ما يلي :

١ ـ تحريم دمه : قال تعالى : ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق﴾[2].

٢ ـ تحريم ماله : قال تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[3].

٣ ـ تحريم عرضه : قال تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[4].

٤ ـ تحريم ظلمه : قال تعالى في الحديث القدسي : « ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[5]

٥ ـ تحريم إلحاق الأذى به : قال تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا﴾[6].

٦ محبة الخير له وإيصال النفع إليه : قال صلى اللّه عليه وسلم : «من أحب أن يُزَحْزَح عن النار ويُدْخَل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن باللّه واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤْتى إليه»[7].

٧ ـ مواساته في الشدائد والملمات : قال ﷺ : «من كانَ في حاجة أخيه كان

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠

(٢) سورة الأنعام، آية : ١٥.

(٣) سورة المائدة، آية : ٣٨

(٤) سورة الإسراء، آية. ٣٢

(٥) رواه مسلم.

(٦) سورة الأحزاب، آية ٥٨

(٧) رواه مسلم.

اللّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة»[1].

ثانياً: **مراعاة حرمة الحيوان**: من خلال ما يلي

١ ـ الإحسان إليه عند الذبح: قال صلى اللّه عليه وسلم: «إن اللّه كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[2].

٢ ـ تحريم منع الطعام عنه. قال ﷺ: «عذبت أمرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشخاش الأرض»[3].

٣ ـ تحريم اتخاذه غَرَضاً: قال ابن عمر رضي اللّه تعالى عنهما: «إن رسول اللّه ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»[4].

٤ ـ تحريم فجيعته بولده: عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: كنا مع رسول اللّه ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة[5] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تَعْرِش[6] فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[7].

٥ ـ تحريم وسمه في الوجه. عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: «لعن اللّه الذي وسمه»[8].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه مسلم
(٤) متفق عليه.
(٥) الحُمَّرة نوع من الطيور
(٦) تَعْرِشُ: بمعنى ترتفع وتظلل بجناحيها من تحتها (لسان العرب ٢/ ٧٣٤)
(٧) رواه أبوداود بإسناد صحيح
(٨) رواه مسلم

٦ ـ تحريم تحريقه بالنار : عن ابن مسعود رضي اللّه تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى قرية نمل قد حرقناها فقال : «من حرق هذه ؟» قلنا : نحن ، قال «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[١] .

ثالثاً . مراعاة حرمة النبات: من خلال ما يلي :

١ ـ الاهتمام بالغرس : قال ﷺ : « لا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»[٢] .

٢ ـ عدم إتلاف الشجر المثمر : قال أبوبكر الصديق رضي اللّه تعالى عنه موصياً جيش أسامة : «ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرةً» .

٣ ـ عدم الإساءة إلى الفلاحين : قال عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه موصياً جيشه «اتقوا اللّه في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب» .

٤ ـ عدم تلويث ظل الشجر بالقاذورات . قال ﷺ . «اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان؟ قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم »[٣]

رابعاً مراعاة حرمة الطريق: من خلال ما يلي :

١ ـ المشي فيه بسكينة : قال تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾[٤] .

وقال : ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[٥] .

وقال : ﴿واقصد في مشيك﴾[٦] .

---

(١) رواه أبوداود بإسناد صحيح

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦٢

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٣٧

(٦) سورة لقمان ، آية : ١٩ .

٢ ـ إعطاؤه حقه حين الجلوس فيه : عن أبوسعيد الخدري رضي اللّه تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا : يا رسول اللّه ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول اللّه ﷺ : «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا : وما حق الطريق يا رسول اللّه؟ قال . « غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[١] .

٣ ـ إماطة الأذى عنه : قال ﷺ : «عُرضت عليَّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق»[٢]

وقال ﷺ : «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر اللّه له فغفر له»[٣] .

خامساً : مراعاة حرمة ثروات وأموال الشعوب :

وذلك لا يتم إلا بأمرين :

١ ـ العمل على تنمية تلك الثروات واستثمار تلك الأموال لقوله تعالى : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[٤] .

وقوله : ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل اللّه﴾[٥] .

والمشي في مناكب الأرض والابتغاء من فضل اللّه معناه الاستفادة من كنوز الأرض التي أودعها اللّه فيها .

---

(١) متفق عليه
(٢) رواه مسلم
(٣) متفق عليه
(٤) سورة الملك، آية : ١٥
(٥) سورة الجمعة، آية ١٠

٢ ـ المحافظة على مصادر الطاقة وعدم إحراقها وتبذيرها، فإن ذلك أمر محرم

قال تعالى : ﴿ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾[١].

وقال ﷺ : «إن اللّه تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرقوا. ويكره لكم : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢].

سادساً : مراعاة حرمة المال من خلال ما يلي :

١ ـ بذله لمحتاجيه : عن سعد بن عبادة رضي اللّه تعالى عنه قال : قلت يا رسول اللّه . أي الصدقة أفضل؟ قال : «سقي الماء»[٣]، وعن سراقه بن مالك بن جعشم رضي اللّه تعالى عنه قال : سألت رسول اللّه ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضي، هل لي من أجر إن سقيتها؟ قال : « نعم، في كل ذات كبد حرّى أجر»[٤].

٢ ـ الشعور بأنه حق يشاع بين جميع الناس : قال ﷺ : «المسلمون شركاء في ثلاثة : الماء، والكلأ، والنار»[٥].

٣ ـ تحريم تلويثه ببول أو غائط . عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد»[٦].

وعن معاذ بن جبل رضي اللّه تعالى عنه قال : لقد سمعت رسول اللّه

---

(١) سورة الإسراء، آية : ٢٦, ٢٧.
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه ابن ماجة.
(٤) رواه ابن ماجة.
(٥) رواه ابوداود.
(٦) رواه ابن ماجة.

ﷺ يقول : «اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق»[1] .

ويقاس على البول والبراز سائر أنواع الملوثات .

٤ ـ المحافظة على ما فيه من كنوز وكائنات لتتحقق الإفادة منها في ضوء قوله تعالى : ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[2] .

سابعاً : مراعاة حرمة الهواء

وذلك بعدم إفساده وتلويثه بالغازات السامة التي تعرض حياة الناس للهلاك ، فمن أفسد على الناس هواءهم فهو ظالم لهم وبذلك يكون مستحقاً للطرد والإبعاد من رحمة اللّه تعالى كما قال سبحانه . ﴿ألا لعنة اللّه على الظالمين﴾[3] .

المتسبب في الدمار البيئي لا يستحق تكريم اللّه:

وإذا كانت الخلافة في الأرض تستدعي القيام بجميع تلك الأمور ، فإن الإنسان الذي يتسبب في الدمار البيئي ليس أهلاً لتلك الخلافة التي شرفه اللّه بها ، بل يكون حينئذ جديراً بنظرة الملائكة عليهم السلام إليه حين قالوا عنه مخاطبين ربهم سبحانه وتعالى : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[4] .

---

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) سورة النحل ، آية : ١٤
(٣) سورة هود ، آية : ١٨ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢٠ .

عقوبة الإسلام لمن أفسد البيئة

لما كان مقتضى الاستخلاف في الأرض العمل على إصلاح البيئة، فإن الإسلام الحنيف لم يكتف بالنهي عن إفسادها فحسب، بل إنه وقف موقفاً حازماً ضد كل من يسعى لإحداث الدمار فيها بأية وسيلة كانت، وذلك حين أعلن الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم عدم محبته للفساد في الأرض فقال سبحانه : ﴿واللّه لا يحب الفساد﴾[1].

وإذا كان سبحانه لا يحب الفساد فإنه قطعاً لا يحب المفسدين، وهذا ما قرره تعالى بقوله . ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه ويسعون في الأرض فساداً واللّه لا يحب المفسدين﴾[2]

ولعظم شأن الفساد في الأرض فقد جعله الحق تبارك وتعالى من أبرز صفات المنافقين فقال سبحانه : ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾[3]

ولكي يحسم الإسلام مادة الفساد في الأرض فقد رتب على ذلك العقوبة الشديدة في الدنيا بالقتل، أو الصلب، أو التقطيع، أو النفي، وهو ما يُعرف بحد الحرابة

قال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٥
(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤
(٣) سورة البقرة، الآيتان ١١ ، ١٢
(٣) سورة المائدة، الآية ٣٣

والعذاب العظيم في الآخرة الذي أشارت إليه الآية الكريمة هو دخول النار والعياذ باللّه، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل واللّه لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق اللّه أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

وذلك كله من أجل أن ينضبط سلوك الإنسان في هذه الحياة فلا يعيث في الأرض فساداً بتلويث البيئة وإحداث الدمار فيها، وإنما يستشعر منّة اللّه العظيم عليه بأن مكّنه في الأرض فيحدث لذلك شكراً كما قال سبحانه: ﴿ولقد مكّنّاكم في الأرض وجعلنا لكم معايش قليلا ما تشكرون﴾[1].

ومن شُكْر اللّه على تلك النعمة التعاون على كل ما فيه إصلاح البيئة والتناهي عن كل ما يفسدها كما قال تعالى: ﴿الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وللّه عاقبة الأمور﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠.
(٢) سورة الحج، الآية ٤١.